



## بسم الله الرحمن الرحيم

### مقدمة الطبعة الثالثة

دفعني قيامي بتدريس مواد التاريخ الإسلامي العام ، وتاريخ مصر العام والتاريخ المصري في عصر الفاطميين ، والتاريخ المصري في عصر الأيوبيين والمماليك ، في كلية دار العلوم وكلية الآداب بجامعة القاهرة وجامعة بغداد - كأستاذ للتاريخ الإسلامي ، إلى وضع هذا الكتاب الشامل ألفت كتب كثيرة تبحث في التاريخ الإسلامي ، سواء فيما يتعلق بناحية خاصة من نواحيه أو بالكلام إجمالاً عن ظهوره وتوالى الدول التي كان لها شأن في تسجيل أحداث ذلك التاريخ . إلا أنه على وفرة ما كتب قديماً وحديثاً ، فإن النظرة الشاملة التي تشرف على ذلك التاريخ ، بحيث تحيط به وتنضم أطرافه وتفسر أحداثه ، مما يمثل أحدث الاتجاهات في الوقت الحاضر في تفسير التاريخ ، هو الذي دفعنا إلى تأليف هذا الكتاب على هذا النحو التركيبي الشامل ، وهو الذي جعلنا نعهد لدراسة التاريخ الإسلامي بالبحث في العصر الجاهلي ، لأن ظهور الإسلام - وهو حدث من أخطر أحداث الإنسانية - لا يمكن أن يفهم مستقلاً عن ماضي العرب في جاهليتهم ، لا القرية فقط بل البعيدة أيضاً ، لأن روح الأمة يمتد عبر الزمان حتى لو تقلبت عليها الأديان وتطورت في لهجاتها ولغاتها وعاداتها .

كان الهدف الذي نرمى إليه إذن هو الكشف عن مقومات هذه الروح الإسلامية ، التي انبعثت من جزيرة العرب ، ثم اتسعت فشملت كثيراً من الشعوب غير العربية التي اتخذت الاسلام ديناً والعربية لساناً . وانضوت جميعاً تحت لواء الحضارة الإسلامية ، وكانت تلك الحضارة قوية حياً وضعيفة حياً آخر .

وكان لظهور الإسلام أثره الديني : فقد أصبح القرآن والأحاديث دستور المسلمين ، كما كان له أثره السياسي كذلك إذ نجح في تكوين أمة واحدة تخضع للحكومة واحدة بعد أن كانت القبيلة هي الوحدة السياسية التي قام عليها المجتمع العربي قبل الإسلام .

وتعد خلافة الخلفاء الراشدين : أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، شورية انتخابية واتسعت الدولة العربية في عهد عمر بن الخطاب ، فقد ضم إلى تلك الدولة : فارس والشام وفلسطين ومصر . وكان كل خليفة منهم يتوخى أن يحكم وفق الحدود الشرعية ، إذا استثنينا عهد عثمان الذي رماه أعداؤه بأنه يقرب الأصهار ويبعثر الأموال ولا يحكم بالعدل .

وصحب تحول الخلافة من الخلفاء الراشدين إلى الأمويين ، عدة مظاهر ليست من مقتضيات الخلافة ، كظواهر الأبهة والجبروت .

وأخذت الحضارة العربية تترعرع ويشهد ساعدها ، ويعد معاوية مؤسس دولة الأمويين ، واعتبر عهد عبد الملك بن مروان عهد إصلاح إداري شامل في دولة الأمويين . وأعاد عهد الوليد بن عبد الملك عهد التوسع والغزو الذي ساد الدولة العربية طوال عهد عمر بن الخطاب ، فقد فتح الوليد أقليم ما وراء النهر وحوض نهر السند وشمال إفريقيا والأندلس .

ولم يأت صدر الدولة العباسية حتى كانت قد بلغت أوجها ، والتاريخ يحدّثنا أن الحضارة الإسلامية في ذلك العهد قد فاقت سائر الحضارات المعاصرة لها في الشرق والغرب ، وحكمت الدولة العباسية العالم الإسلامي زهاء خمسة قرون . وكان خلفاؤهم من السفاح إلى الواثق رجال عظماء ، ما عدا الأمين فإنه لسوء حظه لم يسار هؤلاء في عظمتهم ومقدرتهم السياسية ، واعتبر العصر العباسي الأول وحدة مفسحة متنافسة ، إذ لم يكن لكل خليفة سياسة شخصية ، بل سار الجميع على سياسة واحدة .

وكانت الحوادث الكبرى التي وقعت في ذلك العهد تسير كلها في تيارات عامة كإسقاط العرب وإثارة الفرس عليهم ، ثم تشجيع الترك على الفرس والعرب معاً ، ونهضة العلم والأدب ، وظهور حرية الفكر في البحث والجدل والمناظرة ، وتقريب العلماء والأدباء والمغنين ، وترقية الفنون الجميلة كالعمارة والشعر والموسيقى وهو على الجملة العصر الذهبي للإسلام .

وبقيام العصر العباسي الثاني سنة ٢٣٢ هـ ، زال العصر الزاهر في الدولة العباسية ، وشمل الضعف معظم مظاهر الحياة في بغداد ، ويمتد هذا العصر أكثر من أربعة قرون ، كان فيها الخلفاء العباسيون تحت سيطرة الأتراك أولاً وبني بويه ثانياً ، ثم السلاجقة أخيراً . وكان الخلفاء كالريشة في مهب الريح ، يتوقف بقاء كل منهم على العرش حسب رغبة المسيطرين عليهم من الأتراك وسلاطين البويهيين والسلاجقة .

وفي سنة ٦٥٦ هـ ( ١٢٥٨ م ) سقطت بغداد في أيدي التتار ، بعد أن ظلت زهاء خمسة قرون حاضرة للدولة العباسية ومركزاً للعالم الإسلامي ومهبطاً للعلماء . وبمقتل المستعصم عام ٦٥٦ هـ ، انتهت الخلافة العباسية في بغداد ولم تقم

لهاقائمة حتى أحيائها بيبرس سلطان الماليك في مصر في عام ٦٥٦ هـ ( ١٢٦٠ م ). واستمرت الخلافة العباسية في مصر إلى أن فتحها العثمانيون على يد السلطان سليم الأول سنة ١٥١٧ م وأصبحت ولاية عثمانية .

\*\*\*

وقد قسمت الكتاب قسمين : أولهما للتاريخ السياسي ، وثانيهما لنظم الحكم والحياة الاجتماعية ، ووجهت عناية خاصة إلى دراسة التيارات الحضارية والتعليق على الأحداث التاريخية ، لما لها من أثر عميق في تشكيل التاريخ الإسلامي وفهمه على الوجه الصحيح .

والله نسأل أن يسدد خطانا ويهدينا سواء السبيل

المؤلف